

شُلَاشَةُ أَطْفَالِ الْجَارَة



نَزَار قَبَانِي

الغلاف والرسوم الداخلية
للفنان الشهيد
ناجي العلي



شُلَاثِيَّةٌ أطْفَالُ الْحِجَّةِ

حقوق الملكية الفنية محفوظة

الطبعة الأولى

آذار (مارس)

١٩٨٨

منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
صرب ٦٢٥.

نزار قباني

شُلَاشِيَّةُ
أطْفَالُ الْحِجَّةِ

مِنْ عِرْ

مدخل

هذه القصائد الثلاث ، كتبها أطفال الحجارة ، بأصابعهم
الصغيرة ، النحيلة ، الدامية .. ولم أكتبها أنا ..

هُمُ الَّذِينَ كَتَبُوا ..

وَهُمُ الَّذِينَ أَلْفَوا ..

وَهُمُ الَّذِينَ نَزَفُوا ..

وَهُمُ الَّذِينَ أَمْرَوْنِي ، فَأَطْعَمْتُ ..

وَحَرَضْتُونِي فَصَرَخْتُ ..

في كثيرٍ من الأحيان ، يتوهّمُ الشاعرُ أنه سيدُ النصرِ الذي
يكتبه ، في حين أن دوره الحقيقي في عملية الكتابة ، لا يتعدّى
دور الممثل الذي يعيد كلمات الملقن ، ودور الأجير الذي يطيعُ
أوامر سيده .. .

ولا بدّ لنا من الاعتراف ، أنَّ أسيادنا ، وأسياد الأدب العربي
في هذه المرحلة ، هم أطفال الحجارة .
فهُمُ الذين بعثروا أوراقنا .. ودلّعوا العبر على ثيابنا ..
وأنهكوا عُذرية نصوصنا القديمة .. وطردونا من وراء مكاتبنا
المكيَّفةِ الهواء ..

ثم لا بدّ لنا من الاعتراف - وإن كان الاعتراف موجعاً - أنَّ
أطفال الحجارة (بهدلونا) .. نحنُ الكتابُ العربُ الذين كنا
تصوّرُ أنفسنا آلهةً تمشي على الورق .. وملوكاً لا تغيب
الشمسُ عن قصائدهم ..

نحنُ ، لسنا في الحقيقة ، أكثرَ من ملوك من ورق .. كلماتهم
من ورق .. وأحلامهم من ورق .. وقصائدهم من ورق ..
أما الملوكُ الحقيقيون ، فهم هؤلاء الذين كتبوا بمشتقات
الدم .. وحبر الحرية .. وجعلوا لغة الحجر لغةً دوليةً تتكلّمها
كلُّ شعوب العالم .

من هُمْ أطفالُ الحجارة؟

ما ذا فعلوا بلغتنا ، بكلامنا ، بتعابيرنا ، بمفرداتنا ، بشعرنا
بتثرا ، بذاكرتنا البلاغية ، بخطابنا الشعري اليومي والمأثور ؟
أهُمْ ما في أطفال الحجارة أنهم قاموا بانقلابٍ في ذاكرتنا
الشعرية واللغوية والقومية الثقافية ، وأحدثوا (خَسْهَةً) في دورتنا
الدموية .

قَبْلَهُمْ ، كُنَّا في حالة غيوبية ، فرَشُونَا بخراثيم المياه ،
وأخرجونا من غرفة العناية الفائقة .

قَبْلَهُمْ ، كان الشارعُ العربي بارداً كالأسماك المجلدة ..
فأعادوا إلى أطراافنا الدفءَ والحرارة ..

قَبْلَهُمْ ، كُنَّا يتامى .. وجاؤوا هُمْ ، فأعطونا هويةً وانتماءً ،
وأعادوا إلينا أسماءنا العربية .



أَهْمُّ مَا فِي أَطْفَالِ الْحِجَارَةِ:
أَنَّهُمْ حَمَلُوا إِلَيْنَا الْمَطَرَ . . بَعْدَ عَصُورٍ مِنَ الْعَطْشِ .
وَحَمَلُوا إِلَيْنَا الشَّمْسَ . . بَعْدَ عَصُورٍ مِنَ الظَّلَامِ .
وَحَمَلُوا إِلَيْنَا الْأَمْلَ . . بَعْدَ عَصُورٍ مِنَ الْإِحْبَاطِ وَالْإِنْكَسَارِ .
أَهْمُّ مَا فِيهِمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَلَى (سُلْطَنَتِ الْأَبُوَيْهِ) . .
وَفَرُّوا مِنْ (بَيْتِ الطَّاعَةِ) . . وَخَالَفُوا أَوْاْمِرَنَا وَوَصَائِيَانَا ،
وَقَرَرُوا أَنْ يَحْكُوا جَلْدَهُمْ بِأَظَافِرِهِمْ . .
أَهْمُّ مَا فِيهِمْ ، أَنَّهُمْ لَا يُشَبِّهُونَا وَلَا نُشَبِّهُهُمْ . .
- وَهَذَا مِنْ حَسْنِ حَظِّهِمْ - وَقَرَرُوا أَنْ يَقْاتِلُوا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ ،
وَيَعِيشُوا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ . . وَيَمُوتُوا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ . .

أَهْمَّ مَا فِي أَطْفَالِ الْحِجَارَةِ :

أَنَّهُمْ قَلَبُوا الشَّاحنَةَ الَّتِي كَانَتْ تَسِيرُ بِسُرْعَةِ عَشْرَةِ أَمْتَارٍ كُلَّ
أَرْبَعينِ سَنَةٍ .. وَالَّتِي كَانَتْ تَسِيرُ عَلَى حَطَبِ الصَّبَرِ . وَاسْتَبَدُّوْهَا
بِطَائِرَةٍ كُونِكُورِدْ تَطَيِّرُ عَلَى نَارِ الغَضَبِ ..

*

لَقِدْ أَلْغَى أَطْفَالُ الْحِجَارَةِ ، إِجازَاتِ كُلِّ الشُّعُراءِ الْعَرَبِ ،
وَأَجْبَرُوهُمْ عَلَى أَنْ يَلْبِسُوا الْمَلَابِسَ الْمَرْقُوفَةِ .. وَيَلْتَحِقُوا بِالْجَبَاهَةِ
فُورًا ..
أَنَا شَخْصِيًّا ، قَطَعْتُ إِجازَتِي فِي سُوِيْسَرَا ، وَالْتَّحَقْتُ
بِصَفَوْفِهِمْ .

لَمْ يَكُنْ عَنِّي خَيَارٌ آخَرُ ..
كَانَ عَلَيْهِ أَنْ أَكُونَ مَعْهُمْ ..
أَوْ أَنْ أَكُونَ ضَدَّ الشِّعْرِ ..

*

إن الحجر الفلسطيني نسف إمارة الشعر من جذورها ، وصار هو أمير الشعرا بلا منازع .

فالحجر الفلسطيني لم يكسر زجاج البيت الإسرائيلي فقط .. وإنما كسر أيضاً زجاج القصيدة العربية ، ووضعها أمام الأمر الواقع ، وغير هويتها ، وخصائصها ، ولامحها الخارجية والداخلية .

*

إنني أعتقد أن أطفال الحجارة ، نقلوا الشعر العربي من حال إلى حال ، ومن مرحلة إلى مرحلة .

كما أعتقد أنهم أدخلوا الشعر العربي إلى حداثةٍ من نوعٍ جديد ، هي حداثة المعاناة والواقعية التورية ، لا حداثة الفنون ، والتغريب ، والدهاليز الباطنية .

وهكذا ... أسقط أطفال الحجارة - من جملة ما أسقطوا - الخطاب الشعري القديم ، إلى جانب الخطاب السياسي القديم ، وفتحوا أمامنا أبواب الثورة .. والحرية .. والحداثة على مصراعيها .

جنيف ١٠ آذار (مارس) ١٩٨٨

اطفال الحبارة

بَهْرُوا الدُّنْيَا
 وَمَا فِي يَدِهِمْ إِلَّا الْحِجَارَةُ ..
 وَأَصَوْرُوا كَالْقَنَادِيلِ ،
 وَجَاءُوا كَالْبِشَارَةِ .
 قَاتَلُوا ..
 وَانْفَجَرُوا ..
 وَاسْتُشْهِدُوا ..
 وَبَقِينَا دُبَيَا قُطْبِيَّةً
 صُفَّحْتُ أَجْسَادُهَا ضِدَّ الْحَرَارَةِ

قاتلوا عنا . . .
 إلى أن قتلوا .
 وبقينا في مقاهينا
 كقصاق المحرارة . . .
 واحد . . .
 يبحث منا عن تجارة
 واحد . . .
 يطلب ملياراً جديداً
 وزواجاً رابعاً . . .
 ونهوداً صقلتهن الحضارة . .



واحدٌ ..

يبحثُ في لندنَ عن قصِّرٍ مُنيفٍ

واحدٌ ..

يعملُ سِمسَارَ سلاحٍ ..

واحدٌ ..

يطلبُ في (الباراتِ) ثارَةٌ ..

واحدٌ ..

يبحثُ عن عَرْشٍ .. وجيشٍ ..

وإمَارَةٌ ..

*

آه . . يا جيلَ الخياناتِ . .
 ويا جيلَ العمُولاتِ . .
 ويا جيلَ النِّفَاعيَاتِ . .
 ويا جيلَ الدَّعَارَهْ . .
 سوفَ يجتَاحُكَ - مهما أبْطأَ التَّارِيخُ -
 أطْفَالُ الْحِجَارَهْ . . .

الفن
اضبُون

يَا تَلَامِيذَ غَزَّةِ . . .
عَلَمُوْنَا . . .

بَعْضَ مَا عِنْدَكُمْ
فَنَحْنُ نَسِيَّنَا . . .

عَلَمُوْنَا . . .
بَأْنَ نَكُونَ رِجَالًاً
فَلَدِينَا الرِّجَالُ . . .
صَارُوا عَجِيْنَا . . .

عَلِمُونَا ..
كِيفَ الْحِجَارَةُ تَغْدُو
بَيْنَ أَيْدِي الْأَطْفَالِ ،
مَاسًّا ثَمِينَا ..

كِيفَ تَغْدُو
دَرَاجَةُ الطَّفْلِ ، لُغْمًا
وَشَرِيطُ الْحَرِيرِ ..
يَغْدُو كَمِينَا ..

كِيفَ مَصَاصَةُ الْحَلِيبِ ..
إِذَا مَا اعْتَقَلُوهَا
تَحُولَتْ سِكَينَا



يَا تَلَامِيذَ غَزَّةِ
لَا تُبَالُوا ..
بِإِذْاعَاتِنَا ..
وَلَا تَسْمَعُونَا ..

إِضْرِبُوا ..
إِضْرِبُوا ..
بِكُلِّ قَوَّاكُمْ
وَاحْزِمُوا أَمْرَكُمْ
وَلَا تَسْأَلُونَا ..

نَحْنُ أَهْلُ الْحِسَابِ . .
وَالْجَمْعِ . .
وَالظَّرْحِ . .
فَخَوْضُوا حُرُوبَكُمْ
وَاتْرُكُونَا . .

إِنَّا الْهَارِبُونَ
مِنْ خَدْمَةِ الْجَيْشِ ،
فَهَاهُوَا حِبَالُكُمْ
وَاشْتُقُونَا . . .

نَحْنُ مَوْتَىٰ ..
لَا يَمْلِكُونَ ضَرِيحًا
وَيَتَامَىٰ ..
لَا يَمْلِكُونَ عُيُونَا

قَدْ لَزَمَنَا حُجُورَنَا ..
وَطَلَبَنَا مِنْكُمْ
أَنْ تَقَاتِلُوا التِّبْيَانَا ..

قَدْ صَغَرْنَا ، أَمَامَكُمْ

أَلْفَ قَرْنٍ ..
وَكُبُرُّتُمْ
- خَلَالَ شَهْرٍ - قُرُونَا ..

يا تلاميذَ غَزَّةِ ..
لا تَعُودُوا ..
لكتاباتِنا .. ولا تقرأونا

نَحْنُ آباؤكُمْ ..
فَلَا تُشْبِهُونَا ..
نَحْنُ أَصْنَامُكُمْ ..
فَلَا تَعْبُدُونَا ..

نَعَاطِي
القاتِ السِّياسِيِّ ..
وَالْقَمَعَ ..
وَنَبْنِي مقابراً ..
وَسُجُونَا ..

حررُونا ..

من عقدة الخوف فينا ..

واطردو

من رؤوسِنا الأفيونا ..

علّمُونا ..

فنَ التثبِّت بالأرض ،

ولَا ترکوا ..

المسيح حزينا ..



يا أحبابنا الصغار ..
سلاماً ..
جعل الله يومكم
ياسمينا ...

من شقوق الأرض الخراب
طلعتم
وزرعتم جراحنا
نسرينا ..

هذه ثورة الدفاتر ..
والحبر ..
فأكونوا على الشفاه
لحونا ..



أَمْطِرُونَا ..
بِطْوَلَةً ، وَشُمُونَخَا
وَاغْسِلُونَا مِنْ قُبْحِنَا
إِغْسِلُونَا ..

لَا تَخَافُوا مُوسَى ..
وَلَا سِحْرَ مُوسَى ..
وَاسْتَعِدُوا
لِتَقْطُفُوا الزَّيْتُونَا

إِنَّ هَذَا الْعَصْرَ الْيَهُودِيَّ
وَهُمْ ..
سَوْفَ يَنْهَا ..
لَوْ مَلَكْنَا الْيَقِينَا ..



يا مجانينَ غَزِّةِ . .

أَلْفُ أَهْلًا . . .

بالمجانينِ ،

إِنْ هُمْ حَرَرُونَا

إِنَّ عَصْرَ الْعُقْلِ السِّيَاسِيِّ . .

وَلَىٰ مِنْ زَمَانٍ . . .

فَعَلِمْنَا الْجُنُونَ . . .

دكتوراه شرف
ني كيميار انجمن

يرمي حَجَراً ..
أو حَجَرِينْ .

يقطعُ أفعى إسرائيلَ إلى نصفَينْ .
يمضغُ لَحْمَ الدَّبَابَاتِ ،
ويأتينا ..
من غيرِ يَدَينْ .

في لحظاتٍ ..

تظهرُ أرضُ فوق الغيمِ ،
ويولدُ وطنٌ في العينينِ .

في لحظاتٍ ..

تظهرُ حيفاً .

تظهرُ يافاً .

تأتي غزَّةُ في أمواج البحرِ .

تُضيِّءُ القدسُ ،

كميَّذنةٍ بين الشفتينِ ..



يرسم فرساً ..
 من يأوفت الفجر ..
 ويدخل ..
 كالإسكندر ذي القرنين ..
 يخلع أبواب التاريخ ،
 وينهي عصر الحشاشين ،
 ويُقفل سوق القوادين ،
 ويقطع أيدي المرتزقين ،
 ويلقي ترکة أهل الكهف ،
 عن الكتفين ...

في لَحَظَاتٍ ..

تحبُّل أشجارُ الزيتونِ ،

يَدُرُّ حَلِيبُ في الثَّدَيْنِ ..

يرسمُ أرضاً في طَبَرِيَّا

يزرُّع فيها سُبُلَتِينْ

يرسمُ بيتاً فوق الْكَرْمَلِ ،

يرسمُ امَّاً .. تطحنُ بُناً عند البابِ ،

و فِنْجَانِينْ ..

في لَحَظَاتٍ .. تهجمُ رائحةُ الليمونِ ،

ويولُدُ وطنٌ في العينينْ

يرمي قَمَرًا من عينيه السَّوْدَاوِينِ ،

وقد يرمي قَمَرَيْنِ ..

يرمي قَلْمَارًا .

يرمي كُتُبًا .

يرمي حِبْرًا .

يرمي صَمْغاً .

يرمي كَرَاسَاتِ الرَّسْمِ ،

وْفُرْشَةَ الْأَلْوَانِ

تصرُخُ مريمُ : «يا ولَدَاهُ .. » .

وتأخذُهُ بَيْنَ الْأَحْضَانِ .

يُسْقُطُ وَلَدًّا .

فِي لَحَظَاتٍ ..

يُولَدُ آلَافُ الصِّبَيَانُ

يُكْسَفُ قَمَرُ غَزَّاوِيٌّ

فِي لَحَظَاتٍ ..

يَطْلُعُ قَمَرٌ مِنْ بِيسَانٌ

يَدْخُلُ وَطَنٌ لِلزَّنْزَانَةِ ،

يُولَدُ وَطَنٌ فِي الْعَيْنَيْنِ ..

ينفضُ عن نَعْلَيْهِ الرَّمَلَ ..
 ويدخُلُ في مملكة الماء ..
 يفتحُ أَفْقًا آخَرَ .
 يُدْعِي زَمَنًا آخَرَ .
 يَكْتُبُ نَصًّا آخَرَ .
 يكسر ذاكرة الصحراء .
 يقتلُ لغةً مُسْتَهْلِكَةً
 منذ الهمزة .. حتى الياء ..
 يفتحُ ثقبًا في القاموس ،
 ويعلنُ موتَ النَّحْو .. وموتَ الصرْف ..
 وموتَ قصائِدنا العَصْمَاء ..



يُرمي حَجَراً.

يبدأ وجه فلسطين
يَتَشَكَّلُ مثل قصيدة شِعرٍ ..

يُرمي الحَجَر الثاني
تطُوّعَّا فوق الماء قصيدة شِعرٌ

يُرمي الحَجَر الثالث
تطلع رام الله بنَسْجَةً من ليل القهر

يُرمي الحَجَر العاشر
حتى يظهر وجه الله ..
ويظهر نور الفجر ..



يرمي حَجَرَ الثورة
حتَّى يسقطَ آخرُ فاشِستيٍّ
من فاشِستِ العصرِ

يرمي ..

يرمي ..

يرمي ..

حتَّى يقلَعَ نَجْمَةً داُودٍ
بَيْدِيهِ ،

ويرميها في البحْرِ ..



تَسْأَلُ عَنْهُ الصُّحْفُ الْكُبْرَى :
 أَيُّ نَبِيٍّ هَذَا الْقَادُمُ مِنْ كَنْعَانْ ؟
 أَيُّ صَبَّىٰ ؟
 هَذَا الْخَارِجُ مِنْ رَحْمِ الْأَحْزَانْ ؟
 أَيُّ نَبَاتٍ أَسْطُورِيٍّ
 هَذَا الطَّالِعُ مِنْ بَيْنِ الْجَدَرَانْ ؟
 أَيُّ نُهُورٍ مِنْ يَاقُوتٍ
 فَاضَتْ مِنْ وَرَقِ الْقُرْآنْ . ؟

يَسْأَلُ عَنْهُ الْعَرَافُونَ .

وَيَسْأَلُ عَنْهُ الصَّوْفِيُونَ .

وَيَسْأَلُ عَنْهُ الْبُودِيُونَ .

وَيَسْأَلُ عَنْهُ مَلُوكُ الْإِنْسِ ،

وَيَسْأَلُ عَنْهُ مَلُوكُ الْجَانِ .

مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الطَّالِعُ

مُثْلَ الْخَوْخِ الْأَحْمَرِ ..

مَنْ شَجَرَ النِّسْيَانُ ؟

مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الطَّافِشُ
مِنْ صُورِ الْأَجْدَادِ ..
وَمِنْ كَذِبِ الْأَحْفَادِ ..
وَمِنْ سِرْوَالِ بَنِي قَحْطَانْ؟
مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الْبَاحِثُ
عَنْ أَرْهَارِ الْحُبِّ ..
وَعَنْ شَمْسِ إِلِيَّانْ؟
مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُشْتَغِلُ بِالْعَيْنَيْنِ ..
كَالَّهُ يُونَانْ؟



يسأله عنه المضطهدون .

ويسائل عنه المقمعون .

ويسائل عنه المنفيون .

وتسأله عنه عصافير خلف القصبان .

من هو هذا الآتي ..

من أوجاع الشم ..

ومن كتب الرهبان ؟

من هو هذا الولدُ
الْتَّبَدَأُ فِي عَيْنِيهِ ..
بدایاتُ الأکوانُ ؟

مَنْ هُوَ ؟

هذا الولدُ الزارعُ
قَمَحَ الشورَةِ ..
في كُلِّ مَكَانٍ ؟؟

يكتب عنه القصصيون ،
ويروي قصته الركبان .

من هو هذا الطفل الهارب من شلل الأطفال ،
ومن سوس الكلمات ؟
من هو ؟

هذا الطافش من مزبلة الصبر ..
ومن لغة الأموات ؟ ..
تسأل صحف العالم ،
كيف صبي مثل الوردة ..
يمحو العالم بالمحاجة؟؟ .

تَسْأَلُ صُحْفٌ مِنْ أَمْرِيَّـ

كَيْفَ صَبِيٌّ غَزَّـاًوِيٌّ ،

حِيفَاوِيٌّ ،

عَكَـاوِيٌّ ،

نَابُلُسِـيٌّ ،

يَقْلُبُ شَاحِنَةَ التَـارِيـخ ،

وَيَكْسِـرُ بَلَـلَوَرَ التَـوْرَـاـة ؟ ؟ . . .

منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
صرب ٦٢٥٠



منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
ص ٦٢٥٠